

التغيرات الصوتية في وقف الإمام يعقوب على أواخر الكلم Sound Voice Changes In Imam Yakoub's Stop On Late Speech Words

عبد الكريم حمادوش^{*}، جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة ، hamadouche.ak@gmail.com

تاريخ الإرسال 2019-10-17 تاريخ القبول 19-11-2019 تاريخ النشر 2019-12-15

Abstract

The observer in the various aspects of **Kuranic_readings/recitings**; notes many voice changes between the method of **reciters**, whether it be in the fundamental rules, or in the section of individual/particular principles, all these phonetic phenomena have been proven as part of Quran from our Prophet Muhammad peace be upon him, and took place on the tongues of the Arab tribes and their different dialects, This research has been devoted to study these changes in voice at the end of the words(speech), with a focus on the uniqueness of Imam YACOUB AL-BASRI from the other reciters in some aspects, by highlighting the following:

- Definition of key terms related to the subject.
- Description of Imam YACOUB AL - BASRI.
- Mention the types of stopping(rests).
- Mention the different types of Quranic readings/recitings as a word and meaning, and its impact on Stopping(rests)/Wakf.
- Statement of the voice changes in Imam YAKOUB at the end of speech and decree line.

الملخص

إن الناظر في أوجه القراءات المتنوعة؛ يلاحظ تغيرات صوتية كثيرة بين مذاهب القراء، سواء أكان ذلك في باب الأصول المطردة، أم في باب الفرشيات المنفردة، وهذه الظواهر الصوتية كلها ثبتت قرآنيته عن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجرت على ألسنة القبائل العربية باختلاف لهجاتها، وقد خصص هذا البحث لدراسة هذه التغيرات الصوتية عند أواخر الكلم، مع التركيز على انفراد الإمام يعقوب البصري عن جمهور القراء ببعض الأوجه، وذلك من خلال تسليط الضوء على ما يأتي:

- التعريف بالمصطلحات الأساسية المتعلقة بالموضوع.
- ترجمة الإمام يعقوب البصري.
- ذكر أنواع الوقف.
- ذكر أنواع اختلاف القراءات القرآنية باعتبار اللفظ والمعنى، وأثره في الوقف.
- بيان التغيرات الصوتية في وقف الإمام يعقوب على أواخر الكلم ومرسوم الخط.

The search yielded a series of results, The most important of which are :

Imam YACOUB AL – BASRI was unique in bringing a phonetic phenomenon at the end of the speech, it's the silent « ha » in some words, such as the rests (stopping) on it at the end of masculine plural words, towards: "worlds", "believers", and likeness.

Keywords :stop reading; start reading; The QURAN; Pronunciation or word; Meaning; the sound.

وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج، أهمها:

- انفراد الإمام يعقوب عن جمهور القراء بالإتيان بظاهرة صوتية عند أواخر الكلم، وهي هاء السكت في بعض الألفاظ، كالجمع المذكر السالم، نحو: "العالمين"، "المؤمنون"، وشبهه.

كلمات مفتاحية: الوقف؛ الابتداء؛ القرآن؛ اللفظ؛ المعنى؛ الصوت.

المؤلف المرسل : عبد الكريم حمادوش hamadouche.ak@gmail.com

1. مقدمة:

لقد ظهرت بواكير الاعتناء بالجانب الصوتي للقرآن الكريم منذ بداية نزوله، لأن الله تبارك وتعالى أمر بترتيبه، قال تعالى: "وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً" [المزمل/04]، غير أن هذا الاعتناء كان مقتصرًا على المشافهة والتلقين، وكان ذلك على طريقتين؛ إحداهما أن يتلفظ النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات القرآن الكريم بفمه الشريف، والصحابة الكرام يتلقونها منه؛ كما فعل مع سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، والأخرى أن يقرأ الصحابة الكرام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع، كما فعل ذلك مع سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ولم يكن الصحابة -رضي الله عنهم- بحاجة إلى من يصحح لهم حروفهم؛ لأنهم عرب أقحاح وإنما بدأت تلك الحاجة بدخول الأعاجم في الإسلام، فقام العلماء بوضع قواعد وأحكام، جاءت بالوصف الدقيق لأصوات القرآن الكريم، وهي عبارة عن تصوير كتابي لكيفية نطق حروف القرآن الكريم منفردة أو مركبة، ولذلك فإن تغاير الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية يعتبر من القضايا التي اهتم بها المنظرّون المتقدمون منذ البدايات الأولى لزمان التأليف، لأنهم أدركوا -جيداً- قيمة هذا العلم وأهميته، وقد تداوله العلماء منذ القديم عرضاً ودرسا؛ سواء في كتبهم التي ألفوها في علوم اللغة، أم تلك التي كانت تتناول علمي القراءات والتجويد.

ولما كان نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف؛ كانت أوجه قراءته كثيرة، ومتنوعة الأصوات، وقد اشتغل خلق كثير بروايتها ونقلها، حتى برز منهم عشرة قراء؛ نسبت إليهم القراءات القرآنية، منهم الإمام يعقوب البصري؛ مقرأ أهل البصرة وإمامها؛ الذي انفرد برواية حروف تميّزت في أصواتها عن غيرها مما رواه غيره من القراء.

هذا.. وإن الصورة الأمثل للسان العربي؛ تتجلى في النص القرآني، وإن أحق ما تعرض فيه هذه الظاهرة؛ ظاهرة التغيرات الصوتية؛ هو النص القرآني، ولأن هذا البحث يقتضي الاختصار؛ فإنني سأقتصر على ما يتم به العمل المقصود، ويتحقق بما المهدف المنشود، وهو استخلاص الملامح العامة لأهم مفردات هذه الظاهرة، لتحقيق أعلى درجات الوضوح والبيان للنص القرآني، وللوصول إلى تيسير تلاوته، وصونه من التحريف واللحن.

متبعاً في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي في جمع المادة وصياغتها؛ من خلال جرد مسائل الموضوع محلّ البحث والدراسة، وتحليل مادتها العلمية مع اعتماد المقارنة والموازنة كتقنية في استخلاص النتائج. وقد خصص هذا البحث لدراسة هذه التغيرات الصوتية عند أواخر الكلم، هادفاً إلى معرفة ما تميزت به قراءة الإمام يعقوب البصري من ظواهر صوتية عند أواخر الكلم.

فما هي التغيرات الصوتية التي رواها الإمام يعقوب عند وقفه على أواخر الكلم؟ وما هو الباعث عليها؟

2. التعريف بالمصطلحات الأساسية المتعلقة بالموضوع.

يعتبر كلّ من ضبط المصطلحات العلمية وتحديد مفاهيمها وبيان دلالاتها ضابطاً محكماً في حلّ الإشكالات التي تثيرها هذه المصطلحات بناءً على اختلاف الرؤى والأفكار، مما يترتب عليه اختلاف في النتائج وبون في الأحكام، ولذلك رأيت أن أعرف ببعض المصطلحات المتعلقة بالموضوع وفق المحاور الآتية:

1.2 تعريف القرآن الكريم:

"هو كلام الله تعالى؛ العربي المعجز، المنزل -بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام- على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بأحرفه السبعة، لفظاً ومعنى، المحفوظ في الصدور والمكتوب في المصاحف العثمانية برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة وقراءاته المتعددة والمنقول إلينا بالتواتر، والمتعبد بتلاوته والمفتتح بسورة الحمد، والمختتم بسورة الناس" (1).

2.2 تعريف القراءات القرآنية:

القراءات في اللغة جمع؛ مفردة قراءة، وهي مصدر للفعل: قرأ، وتحمل معنى الجمع
والضم قال ابن منظور: "وقرأت الشيء قرآنا، جمعه وضممت بعضه إلى بعض ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ، وما قرأت جنينا قطّ، أي: لم يضطم رحمها على ولد" (2).
وفي الاصطلاح هي: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله" (3).

3.2 تعريف الوقف لغة واصطلاحا:

الوقف في اللغة يشتمل على عدة معان، نذكر منها ما يأتي (4):

- **الحبس:** يقال: وقّف الأرض أو الدار على المساكين وقفا، أي: حبّسها عليهم.
- **السكوت:** يقال: وقف القارئ على الكلمة، أي: سكت، كما يقال: كلمته فوقف أي: سكت.
- **القيام والسكون:** يقال: وقف وقوفا، أي: قام من جلوس وسكن بعد المشي.
- **المعاينة:** يقال: وقف على الشيء أي: عاينه.

أما اصطلاحا فقد عرفه ابن الجزري بقوله: "الوقف عبارة عن قطع الصوت زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بنية الإعراض ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما، ولا بد من التنفس معه" (5).

وقد فرّقوا بين الوقف والسكت والقطع، **فالوقف** هو قطع الصوت عند آخر الكلمة مع التنفس بنية استئناف القراءة، أما إذا لم يكن بنية استئناف القراءة فهو **قطع**، **والسكت** هو قطع الصوت عند آخر الكلمة زمنا دون زمن الوقف من غير تنفس (6).

4.2 تعريف الابتداء لغة واصطلاحا:

الابتداء في اللغة يدل على افتتاح الشيء، يقال بدأت بالأمر وابتدأت من الابتداء، والله تعالى المبدئ والبادئ، قال تعالى: "إنه هو **يبدئ ويعيد**" [البروج/13]، ويقال له: **الائتناف**، ومبدأ الشيء هو الذي منه يتركب أو منه يتكون (7).

أما اصطلاحا فهو الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف (8).

فائدة: قدموا الوقف على الابتداء وإن كان مؤخرا عنه في الترتيب؛ لأن كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل، والابتداء الناشئ عن الوقف وهو بعده، وأما الابتداء الحقيقي فسابق على الوقف الحقيقي، فلا كلام فيهما، إذ لا يكونان إلا كاملين كأول السورة والخطبة والقصيدة وأواخرها (9).

3. ترجمة الإمام يعقوب البصري.

1.3 اسمه وشيوخه وتلاميذه:

هو يعقوب بن إسحاق ابن زيد ابن عبد الله ابن أبي إسحاق أبو محمد الحضرمي البصري أحد القراء العشرة، ومقرئ أهل البصرة وإمامها، أخذ القراءة عرضاً عن سلام الطويل، ومهدي بن ميمون وأبي الأشهب العطاردي، وغيرهم وروى ابن المنادى أنه قرأ على أبي عمرو، قال أبو عبد الله القصاص: وما ذلك ببعيد، لأن أبا عمرو توفي وليعقوب سبع وثلاثون سنة، كما سمع من حمزة الزيات، وشعبة، وهارون بن موسى النحوي، وسليم بن حيان، وهمام بن يحيى، وزائدة، وأبو عقيل الدورقي، والأسود بن شيبان.

وممن أخذ عنه القراءة روح بن عبد المؤمن، ومحمد بن المتوكل رويس، والوليد بن حسان التوزي وأحمد بن عبد الخالق المكفوف، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عمر الدوري، وخلق سواهم.

2.3 ثناء العلماء عليه:

قال عنه أبو حاتم السجستاني: "هو أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو"، وقال الإمام أحمد بن حنبل: "هو صدوق"، وقال أبو القاسم الهذلي: "لم ير في زمن يعقوب مثله، كان علماً بالعربية ووجهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً تقياً، ورعاً زاهداً، بلغ من زهده أنه سُرق رداؤه عن كتفه في الصلاة ولم يشعر، وُرِدَّ إليه ولم يشعر، لشغله بالصلاة، وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يجبس ويطلق".

وقال الأهوازي: أنشدني فيه أبو عبد الله محمد بن أحمد اللالكائي لنفسه فقال:

أبوه من القراء كان وجده ويعقوب في القراء كالكوكب الدرّي
تفرُّده محض الصواب ووجهه فمن مثله في وقته وإلى الحشر

وقال ابن الجزري: "ومن أعجب العجب، بل من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من الشواذ الذي لا تجوز القراءة به ولا الصلاة، وهذا شيء لا نعرفه قبل إلا في هذا الزمان ممن لا يعول على قوله ولا يلتفت إلى اختياره، وللأئمة المتقدمين في ذلك ما يبين الحق ويهدي السبيل".

كما ذكر أن أبا عثمان المازني قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأت عليه سورة طه فقرأت "مكنا سوي" [بالكسر]، فقال: اقرأ "سوي" [بالضم]، اقرأ قراءة يعقوب.

3.3 وفاته:

توفي الإمام يعقوب في ذي الحجة سنة خمس ومئتين، وله ثمان وثمانون سنة، ومات أبوه عن ثمان وثمانين سنة وكذلك جده وجد أبيه رحمهم الله جميعا⁽¹⁰⁾.

4. أنواع الوقف.

يمكن أن نقسم الوقف إلى ثلاثة أقسام؛ وذلك باعتبار اللفظ والمعنى، أو باعتبار ما يوقف به، أو باعتبار الباعث على الوقف.

أولاً: أنواع الوقف باعتبار اللفظ والمعنى.

أ - الوقف التام: وهو الوقف على كلام لا تعلق له بما بعده لا لفظاً ولا معنى.

ب - الوقف الكافي: وهو الوقف على كلام مرتبط بما بعده من جهة المعنى فقط.

ج - الوقف الحسن: وهو الوقف على كلام مرتبط بما بعده من جهة اللفظ والمعنى، ولكن الوقف

عليه يؤدي معنى سليماً.

د - الوقف القبيح: وهو الوقف على كلام مرتبط بما بعده من جهة اللفظ والمعنى، ولا يؤدي معنى

صحيحاً، أو يكون مبهماً.

ثانياً: أنواع الوقف باعتبار ما يوقف به.

أ - الوقف بالسكون: وهو الأصل في الوقف، ويكون على الحرف الأخير من الكلمة، وقد يأتي

هذا الحرف مجزوماً، أو متحركاً غير منون، مشدداً أو مخففاً، أو متحركاً منوناً، ما عدا المنون المنصوب فإن

تنوينه يبدل ألفاً بمقدار حركتين، ويسمى مد العوض.

ب - الوقف بالبدل: ويكون عند الوقف على المنون المنصوب، لأن التنوين يبدل ألفاً، وعند الوقف

على تاء التأنيث المتصلة بالأسماء، مثل: "الجنة"، لأن التاء تبدل هاء.

ج - الوقف بالحذف: ويكون في الحالات الآتية:

* المنون المرفوع والجرور، يوقف عليهما بحذف التنوين.

* ميم الجمع الموصولة، يوقف عليها بحذف صلتها.

* هاء الكناية الموصولة، يوقف عليها بحذف صلتها.

* الياءات الزوائد، يوقف عليها بحذفها.

ج - الوقف بالرّوم: ويكون في المرفوع والجرور من المعربات، وفي المضموم والمكسور من المبنيات.

د - الوقف بالإشمام: ويكون في المرفوع من المعربات، وفي المضموم من المبنيات، ويمتنع في هاء التأنيث، والشكل العارض، وميم الجمع، وهاء الكناية.
ثالثاً: أنواع الوقف باعتبار الباعث عليه.

أ - الوقف الاختياري: وهو الذي يقصده القارئ باختياره.

ب - الوقف الاختباري: وهو الذي يُطلب من القارئ قصد اختباره.

ج - الوقف الاضطراري: وهو الذي يكون عند عروض طارئ على القارئ، كضيق النفس والسعال، والعطاس، والنسيان.

د - الوقف الانتظاري: وهو الذي يكون عند جمع القراءات، فيقف القارئ على لفظ بنية عطف أوجه قرائية أخرى.

5. أنواع اختلاف القراءات القرآنية باعتبار اللفظ والمعنى، وأثره في الوقف.

عرّف ابن الجزري القراءات فقال: "هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله" (11) غير أن هذا الاختلاف بين كلمات القرآن وحروفه ليس على ضرب واحد، بل هو على النحو الآتي:

أ - اختلاف الألفاظ وائتلاف المعاني دون أثر في الوقف:

وهذا ينسحب على جميع أبواب الأصول وبعض الفرش، فمن الأصول مثلاً: تغليظ اللام في لفظ "الصلاة" لورش من طريق الأزرق، وترقيقها لباقي القراء، أو إبدال الهمز في نحو "المؤمنون" لورش والسوسي وأبي جعفر وصلاً ووقفاً وحمزة وقفاً، وتحقيقه للباقيين. ومن الفرش مثلاً: كلمة "أیحسب" بكسر السين لنافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي ويعقوب وخلف وفتحها لباقي القراء أو كلمة "إبراهيم" حيث انفرد بفتح الهاء ومدها هشام عن ابن عامر وكسرها مع المد باقي القراء (12)، وهذا كله لا أثر له في تحديد الوقوف.

ب - اختلاف الألفاظ مع اختلاف المعاني دون أثر في الوقف:

وهذا ينسحب على بعض الفرش مثل: كلمة "يُنشِرُكُمْ" في قوله تعالى: "هو الذي ينشركم في البر والبحر" [يونس/22]، لابن عامر وأبي جعفر وقرأها باقي القراء "يُسَيِّرُكُمْ"، فالأولى من النشر والثانية من التسيير ومثل: كلمة "لتحصنكم" من قوله تعالى: "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون" [الأنبياء/80]، قرئت بتاء التأنيث لابن عامر وحفص وأبي جعفر، وبالنون على سبيل العظمة لشعبة ورويس وبياء التذكير لباقي القراء (13).

فالأولى: على أن الفعل مضارع مسند إلى ضمير الصنعة وهي مؤنثة أو إلى ضمير اللبوس وأنث الفعل لتأويل اللبوس بالدروع وهي مؤنثة تأنيثا مجازيا، وإسناد الفعل إلى الصنعة أو اللبوس إسناد مجازي من إسناد الفعل إلى سببه.

والثانية: على أن الفعل مسند إلى ضمير العظمة مناسبة لقوله تعالى: "وعلمناه"، وهو إسناد حقيقي.

والثالثة: على أن الفعل مسند إلى ضمير اللبوس وهو إسناد مجازي من إسناد الفعل إلى سببه (14).

وهذا كله أيضا لا أثر له في تحديد الوقوف، والاختلاف واقع في حركات البناء لا الإعراب.

ج - اختلاف الألفاظ وائتلاف المعاني مع تغيير في تحديد الوقف باعتبار الوصل والفصل:

وذلك نحو قوله تعالى: "سلام على آل ياسين" [الصفات/130]، فقد قرأها نافع وابن عامر ويعقوب

بفتح الهمزة ومدّها، وبعدها لام مكسورة مفصولة عن "ياسين" كفصل اللام من العين في "آل عمران"،

هكذا "آل ياسين"، فعلى هذا تكون "آل" كلمة، و"ياسين" كلمة أخرى، فيجوز الوقف على "آل" عند

الاضطرار أو الاختبار.

وقرأها الباقون بكسر الهمزة وبعدها لام ساكنة، فتكون كلّها كلمة واحدة، فلا يجوز فصل بعضها

عن بعض ويجب الوقف على آخرها (15).

د - ائتلاف الألفاظ والمعاني مع تغيير في تحديد الوقف على سبيل الرواية والاختيار:

وذلك نحو قوله تعالى: "وَيُكَاذَّبُ" ، و "وَيُكَاذَّبُ" [القصص/86]، فقد وقف الكسائي على الياء

منهما، ووقف أبو عمرو على الكاف ووقف الباقون على الكلمة كلها، أي: على النون في الأولى، وعلى

الهاء في الثانية، وهذا في وقف الاختبار أو الاضطرار، وأما في وقف الاختيار فيتعين الوقف في آخر الكلمة

للجميع، واختار ابن الجزري الوقف على الكلمة بأسرها لسائر القراء لاتصالها رسما بالإجماع (16).

ونحو قوله تعالى: "أَيُّ مَّا" [الإسراء/110]، فقد وقف حمزة والكسائي ورويس على "أَيُّ"، ووقف الباقون على

"مَّا" (17)، هذا ما يؤخذ من التيسير والشاطبية والدرة، أما ابن الجزري فقال: "والأقرب للصواب جواز الوقف

على كلّ من "أيا" و "ما" لسائر القراء، اتباعا للرسم؛ لأنهما كلمتان منفصلتان رسما" (18).

هـ - اختلاف الألفاظ والمعاني مع أثر في الوقف:

ويكون الاختلاف في حركات البناء لا الإعراب مثل قوله تعالى: "فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا

دمرناهم وقومهم أجمعين"، قرأ المدنيان والمكي والبصري والشامي بكسر الهمزة على الاستئناف فتكون الجملة

مستأنفة استئنفا بيانيا لما يثيره الاستفهام في قوله: "كيف كان عاقبة مكرهم" من سؤال عن الكيفية والتأكيد للاهتمام بالخبر.

وقرأ الأصحاب وعاصم ويعقوب بفتح الهمزة، فيكون المصدر بدلا من "عاقبة" أو خبرا لـ "كان" والتأكيد أيضا للاهتمام، فعلى القراءة بكسر الهمزة يوقف على "عاقبة مكرهم" وهو كاف وعلى القراءة بفتح الهمزة لا يوقف على "عاقبة مكرهم" لعدم انقطاع الكلام إلا إذا كانت "أنا" خبرا لمبتدأ مضمم بتقدير: هو أنا دمرناهم، فالوقف قبلها كاف.

و - اختلاف الألفاظ والمعاني اختلافا لا يؤدي للتناقض:

وذلك مع قيام الأثر في تحديد مواضع الوقوف، ويكون الاختلاف في حركات الإعراب لا البناء.

ومثاله في قراءة الإمام يعقوب قوله تعالى: "...وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم" [التوبة/40].

قرأ الإمام يعقوب بالنصب في "وكلمة"، فتعين عليه الوصل، لأن الواو عنده واو عطف، فجاء لفظ "كلمة" معطوفا على مفعول به منصوب، أما من قرأ بالرفع على الابتداء في قوله: "وكلمة" فتعين عليه الوقف على ما قبلها، لأن الواو عندهم واو استئنافية، وهي قراءة الجمهور.

ومثاله أيضا قوله تعالى: "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" [البقرة/125].

قرأ الإمام يعقوب بكسر الخاء⁽¹⁹⁾ من لفظ "واتخذوا"، على أنه أمر للمسلمين، وفيه استئناف تعين به الوقف على "أمنا" وقفا تاما، لأنه وقف على كلام تم معناه، ولم يتعلق بما بعده لا لفظا ولا معنى. أما من قرأ بفتح الخاء من لفظ "واتخذوا"، على أنه فعل ماض، فهو إخبار عن من كان قبلنا - من المؤمنين من متبعي سيدنا إبراهيم عليه السلام - أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وفيه عطف على قوله تعالى: "وإذ جعلنا"، على إضمار "إذ"، والتقدير: واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى، فالوقف على لفظ "أمنا" وقف حسن لتعلقه بما بعده لفظا ومعنى، وقد تعين به الوقف على "مصلى" لمن قرأ بفتح الخاء، وهي قراءة نافع وابن عامر.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن القراء اختلفوا في لفظ "إبراهيم"، حيث انفرد ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان؛ بقراءته بألف بعد الهاء، هكذا "إبراهام"، وهو مما اختلف لفظه - في حركات البناء - واتفق معناه، ولا أثر له في الوقف.

ومثاله أيضا قوله تعالى: "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص" [المائدة/45].

قرأ الإمام يعقوب بالنصب في الأسماء الخمسة، ووافقه في ذلك نافع وعاصم وحمزة وخلف. وقرأ الكسائي بالرفع في الأسماء الخمسة: العين والأنف والأذن والسن والجروح. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر بالنصب في الأسماء الأربعة: العين والأنف والأذن والسن، وبالرفع في لفظ الجروح.

أما قراءة الإمام يعقوب ومن وافقه فقد نصبت الأسماء الخمسة عطفًا على "أن النفس" وخبر الكل "قصاص"، وعليه فالوقف يكون على "والجروح قصاص".

وأما قراءة الكسائي فهي مرفوعة على الاستئناف، والتقدير: أن النفس مقتولة بالنفس والعين مفقودة بالعين، ونظيره قوله تعالى: "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابون والنصارى" [المائدة/69] فعلى هذا التوجيه يقف الكسائي عند "بالنفس"، ويتبدئ من "والعين"، وقيل: هي مرفوعة على العطف على محل "أن النفس"، لأن المعنى: وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس وكتبنا هنا بمعنى قلنا. وقيل: الكتابة تقع على مثل هذه الجمل، تقول: كتبت: الحمد لله، وقرأت: "سورة أنزلناها"، وعلى هذين التوجيهين، لا يقف عند "بالنفس"، بل يصل حتى يكمل الأسماء الخمسة كلها حتى لا يفصل بين المعطوف عليه والمعطوف.

وأما قراءة الباقيين فنصبت الأسماء الأربعة على العطف على "أن النفس"، ورفع الاسم الخامس؛ الجروح على الابتداء؛ وخبره "قصاص"، وعليه فالوقف على "والسن بالسن"، ثم يتبدئ "والجروح" (20).

6. التغيرات الصوتية في وقف الإمام يعقوب على أواخر الكلم ومرسوم الخط.

إن من أصول الكلام عند العرب؛ أنهم لا يتبدئون بساكن، ولا يقفون على متحرك، لأن الساكن ضعيف، وفي الابتداء به تكلف وثقل، قال أبو العباس الخابوري: "...لأن الابتداء بالساكن إنما كان محالا لأن النفس في أول هيئته وقوته واستجمامه، فتبنا عن الابتداء بالساكن لضعفه، فلما قوي الحرف بالحركة أمكن الابتداء به" (21)، وكذلك الوقف على المتحرك، فجنحوا إلى السهولة واليسر بابتدائهم الكلام بحرف متحرك، وبوقفهم على السكون المحض؛ ويندرج تحت السكون المحض الإبدال والحذف، كما أنهم يقفون أيضا بالإشمام على المرفوع والمضموم؛ ولا يكون إلا بعد السكون المحض، وذلك بالإشارة بالشفتين إلى حركة الحرف، ويقفون أيضا بالرؤم على المرفوع والمضموم، والجور والمكسور، وكل ذلك مقروء به في القرآن الكريم، مروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام ابن بري رحمه الله:

القول في الوقوف بالإشمام والروم والمرسوم في الإمام
قف بالسكون فهو أصل الوقف دون إشارة لشكل الحرف
وإن تشأ وقف في الإمام مينا بالروم والإشمام
فالرؤم إضعافك صوت الحركه من غير أن يذهب رأساً صوتك
يكون في المرفوع والمجرور معا وفي المضموم والمكسور
ولا يُرى في النصب للقراء والفتح للخفة والخفاء
وصفة الإشمام إطباق الشفاه بعد السكون والضرير لا يراه
من غير صوتٍ عنده مسموع يكون في المضموم والمرفوع⁽²²⁾

وقد أدى هذا التنوع في أحكام الوقف إلى تغير الأصوات من حكم إلى حكم، ومن قراءة إلى قراءة،

وهي في قراءة الإمام يعقوب البصري كما يلي:

أ - وقف الإمام يعقوب بهاء السكت⁽²³⁾ على ما يلي:

- ضمائر الغائب، نحو: "هو"، "هي"، "فهو"، "فهي"، "هو"، "هي"، فإذا وقف عليها؛ أتى بهاء

السكت وقرأ هكذا: "هُوَ"، "هِيَ"، "فَهُوَ"، "فَهِئَةَ"، "لَهُوَ"، "لَهِئَةَ".

- الميم الاستفهامية المتصلة بحروف الجر نحو: "مِمَّ"، "عَمَّ"، "لِمَ"، "بِمَ"، فإذا وقف

عليها أتى بهاء السكت وقرأ هكذا: "مِمْ"، "عَمَّ"، "لِمَ"، "بِمَ".

- ضمير الجمع المؤنث الغائب (نون النسوة المشددة المسبوقة بهاء)، نحو: "فِيهِنَّ"، "هِنَّ"، "لِهِنَّ"

"عَلَيْهِنَّ"، "فَامْتَحِنُوهُنَّ"، "حَمَلِهِنَّ"، فإذا وقف عليها؛ أتى بهاء السكت وقرأ هكذا: "فِيهِنَّ"، "هِنَّ"، "لِهِنَّ"

"عَلَيْهِنَّ"، "فَامْتَحِنُوهُنَّ"، "حَمَلِهِنَّ".

- الجمع المذكور السالم، نحو: "العالمين"، "المؤمنون"، فإذا وقف عليها؛ أتى بهاء السكت وقرأ

هكذا: "العالمين"، "المؤمنون".

- ياء المتكلم المشددة: "إِيَّ"، "عَلَيَّ"، "لَدَيَّ"، "بِمَصْرِحِيَّ"، "بِيَدِيَّ"، فإذا وقف عليها؛ أتى

بهاء السكت وقرأ هكذا: "إِيَّ"، "عَلَيَّ"، "لَدَيَّ"، "بِمَصْرِحِيَّ"، "بِيَدِيَّ".

- ووقف رويس - في روايته عن يعقوب - بهاء السكت - كذلك - على لفظ "تَمَّ" الظرفي المفتوح التاء، كما في قوله تعالى: "فثم وجه الله"، فإذا وقف عليها؛ أتى بهاء السكت وقرأ هكذا: "فَتَمَّة".
ووقف أيضا بالهاء على "يا أسفى"، و"يا ويلتى"، و"يا حسرتى"، فيقرأ هكذا: "يا أسفاة"، "يا ويلتاة"، "يا حسرتاة".

ب - وقف بالهاء على ما يلي:

- كل هاء تأنيث رسمت في المصحف تاء، نحو: "رحمت"، "نعمت"، "سُتت"، "امرات"، "شجرت"، "جنت"، فإذا وقف عليها؛ قرأها بالهاء، هكذا: "رحمة"، "نعمه"، "سُنَّة"، "امرأة"، "شجرة"، "جنَّة".
- قوله تعالى: "يا أبت" حيثما وقع، فإذا وقف عليه؛ قرأه بالهاء، هكذا: "يا أبة".

ج - وقف بالألف في قوله تعالى: "أيه" محذوف الألف رسماً، الوارد في النور والزخرف والرحمن، فإذا وقف عليه؛ قرأه بألف بعد الهاء هكذا: "أيهها".

د - وقف على الياء في قوله تعالى: "وكأين"، الوارد في آل عمران، ويوسف، والحج، والعنكبوت، والقتال والطلاق، فإذا وقف عليه؛ قرأه هكذا: "وَكَأِيَّ".

هـ - وقف على "ما" في قوله تعالى: "فمال هؤلاء بالنساء، وقوله تعالى: "مال هذا" بالكهف والفرقان وقوله تعالى: "فمال الذين بالمعارج".

و - وقف رويس على "أَيًّا" في قوله تعالى: "أَيًّا مَّا تدعوا بالإسراء، هكذا: "أَيَّا"، ووقف روح على "مَّا" هكذا: "أَيًّا مَّا"، هذا ما يؤخذ من التيسير والشاطبية والدرّة، أما ابن الجزري فقال: "والأقرب للصواب جواز الوقف على كلٍّ من "أيا" و"ما" لسائر القراء، اتباعاً للرسم؛ لأتھما كلمتان منفصلتان رسماً" (24).

ز - وقف على الكلمة كلها في قوله تعالى: "وَيُكَاَنَّ"، و"وَيُكَاَنَّهُ" بالقصص، أي: على النون في "وَيُكَاَنَّ" وعلى الهاء في "وَيُكَاَنَّهُ"، واختار ابن الجزري الوقف على الكلمة بأسرها لسائر القراء لاتصالها رسماً بالإجماع (25).

ح - وقف بإثبات الياء على ما حذف منه الياء لساكن بعده غير التنوين، نحو قوله تعالى: "ومن يؤت الحكمة" بسورة البقرة، لأنه يقرؤه بكسر التاء، وقوله تعالى: "وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً" بالنساء، فإذا وقف عليه؛ قرأه هكذا: "يُؤْتِي"، وقوله تعالى: "فلا تحشوهم واحشون اليوم أكملت"، فإذا وقف عليه قرأه هكذا: "واحشوني"، وقوله تعالى: "وإن الله لهاد الذين آمنوا" بالحج، فإذا وقف عليه؛ قرأه هكذا:

"لهادي"، وقوله تعالى: "حتى إذا أتوا على واد النمل" بالنمل، فإذا وقف عليه؛ قرأه هكذا: "وادي" ونحو ذلك.

ط - وقف بإثبات الياءات الزوائد، نحو قوله تعالى: "فارهبون"، "فاتقون"، "ولا تكفرون"، "إذا دعان" "فلا تنظرون"، "لولا أن تغفدون"، "فأرسلون"، "الكبير المتعال"، "وإليه متاب"، "وإليه متاب"، وشبهه فإذا وقف على هذه الكلمات؛ قرأها هكذا: "فارهبوني"، "فاتقوني"، "ولا تكفروني"، "إذا دعاني" "فلا تُنظروني"، "لولا أن تُغفدوني"، "فأرسلوني"، "الكبير المتعالي"، "وإليه متابي"، "وإليه متابي".

ك - وقف بإثبات الياء في قوله تعالى: "فما أتان الله" بالنمل، وقوله تعالى: "فبشر عباد الذين يستمعون بالزمر، فإذا وقف عليهما؛ قرأهما هكذا: "فما أتاني"، "فبشر عبادي"، أما وصلاً فقد اختلف عنه في ياء "فما أتان"، فحذفها روح، وقرأها هكذا: "فما أتان الله"، مع ترقيق اللام من لفظ الجلالة، وأثبتها رويس بالفتح، فقرأها هكذا: "فما أتاني الله"، مع تغليظ اللام من لفظ الجلالة⁽²⁶⁾.

7. خاتمة.

لقد جمع هذا البحث بين موضوعين مهمين من موضوعات علوم القرآن واللغة العربية، حيث بين العلاقة الوطيدة بين القراءات القرآنية والتغيرات الصوتية عند الوقف على أواخر الكلم، وبعد هذه الرحلة الممتعة بمعية الرفقة الطيبة من أقوال العلماء ومذاهبهم، أجدني قاربت الوصول إلى نهايتها، وقد أسفرت عن جملة من النتائج والمقترحات.

أ - النتائج:

01 - انفراد الإمام يعقوب عن جمهور القراء بالإتيان بظاهرة صوتية عند أواخر الكلم، وهي هاء السكت في بعض الألفاظ، كالجمع المذكر السالم، نحو: "العالمين"، "المؤمنون"، وشبهه.

02 - الظواهر الصوتية التي رواها الإمام يعقوب عند أواخر الكلم، لم تخرج عن كلام العرب؛ بل كانت مستعملة عندهم، مشهورة بينهم.

03- بعد الاطلاع على الكتب المؤلفة في باب الوقف والابتداء خاصة، والكتب المضمنة له في بعض فصولها تبين أن القراء كانوا أوسع منهجاً في عرضهم هذا الباب، إذ أنهم لم يقتصروا اهتمامهم عند التغير الإعرابي كما نجد عند النحاة، بل تعدى اهتمامهم إلى الجوانب الدلالية.

04- بدأ الاهتمام بالوقف والابتداء في القرآن الكريم من زمن نزول الوحي، حيث إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أرسى قاعدته العامة في الفصل بين المعنيين المتضادين، والوقف على رؤوس

الآي، ثم توسع اهتمام الصحابة والتابعين بتعلم أحكامه وتناقل مسأله مشافهة إلى أن جاء عصر التدوين، وبدأ التأليف فيه من قبل القراء.

05 - بيان أهمية الوقف وأثره في معرفة المراد من آي القرآن الكريم، واستنباط الأحكام الواردة فيه والوقوف على فوائده وبيانه وإعجازه.

06 - يعتبر الوقف ذا أهمية بالغة في عرض المسائل العقدية والقضايا الفقهية، وذلك بتحديد مواضعه المحتملة لمعرفة المعاني العقدية المختلفة والمذاهب الفقهية المتنوعة، فبعضها يقوم دليلا في ظل رؤية عقدية أو فقهية معينة، في حين أن رؤية أخرى مختلفة تلغي قيمته في الموضوع نفسه فلا يعتبر دليلا أو حجة لها.

07- ضرورة مراعاة اختلاف الوقوف الناتج عن اختلاف القراءات، خاصة عند القراءة بالجمع؛ فيعتمد القارئ الوقف الذي يستقيم به معنى كل قراءة مختلفة عن الأخرى.

08 _ تختلف مواضع الوقوف عند اختلاف الألفاظ على مستوى حركات الإعراب مع اختلاف المعاني.

ب - المقترحات:

01 - تحديد مواضع الوقوف في المصاحف باعتبار مذاهب الرواة الذين كتبت على رواياتهم، سواء تلك المصاحف التي كتبت على ما يوافق رواية معينة مفردة؛ أم تلك التي كتبت وفي هامشها القراءات العشر فالمصاحف المفردة تثبت الوقوف في المتن، ومصاحف القراءات يكتب في هامشها مع إثبات الفرش والمدغم والممال وغيرهما من الأصول مواضع الوقوف وفق تباير القراءات، كل بحسب ما يستقيم به المعنى الذي تؤديه قراءته، فيسهل على القارئ تطبيقها أثناء الجمع خاصة.

02 - حرص الشيوخ المقرئين على تطبيق الوقوف بحسب مذاهب القراء، وأخذ طلابهم عليها أثناء الجمع خاصة، فإنه قد لوحظ التساهل في نحو ذلك.

03 - اعتماد دراسة علم الوقف بالتفصيل والتوسع في مفردات مناهج التعليم في كليات العلوم الإسلامية وكليات الآداب واللغات.

قائمة المراجع:

- المصحف الشريف.

- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان 1418هـ/1998م.
- ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية، بيروت لبنان، 1400هـ / 1980م.
- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، د ر ط، بيروت لبنان 1400هـ/1980م.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة ب د أ، دار الفكر للطباعة والنشر د.ت.ط.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف د.ت.ط.
- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت لبنان 1419هـ/1999م.
- أبو العباس الخابوري، الدرُّ النضيد في علم التجويد، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، 1437هـ / 2016م.
- أماني بنت محمد عاشور، الأصول النيرات في القراءات، مدار الوطن للنشر، الطبعة الثالثة، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011م.
- الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 1417هـ/1997م.
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.ط.
- الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، د ر ط، بيروت، د ت ط.
- شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين.
- عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى بيروت لبنان، 1999م.
- عبد الحليم قابة، المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع، دار البلاغ، الطبعة الثالثة الجزائر، د ت ط.
- عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام، الطبعة الأولى مصر، 1428هـ/2007م.
- عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة تحقيق أسامة هيثم عطايا، دار البيروتي، الطبعة الأولى، دمشق 1428هـ/2007م.
- علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى القاهرة، د ت ط.
- محمد سالم محيسن، المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير، دار الجيل الطبعة الأولى، بيروت، 1409هـ / 1989م.

- منظومة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، للإمام أبي الحسن بن بري، تحقيق: الدكتور عبد الحلیم قابة، مكتبة التوفيق، الجزائر، الطبعة الأولى 1422هـ/2001م.
- هشام عبد الجواد الزهيري، الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، دار الأمل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسكندرية مصر، 1431هـ / 2010م.

الهوامش:

- (1) عبد الحلیم قابة، القراءات القرآنية، تاريخها وثبوتها حجيتها وأحكامها، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى بيروت لبنان، 1999م، ص: 22.
- (2) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت لبنان 1419هـ/1999م، ج: 01 ص: 128، 129.
- (3) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، د ر ط، بيروت لبنان 1400هـ/1980م ص 03.
- (4) ينظر: - الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، د ر ط، بيروت، د ت ط، ج: 06، ص: 268.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف د.ت.ط، ج: 06، ج: 4898.
- (5) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان 1418هـ/1998م ج: 01، ص: 189، 190.
- (6) عبد الحلیم قابة، المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع، دار البلاغ، الطبعة الثالثة الجزائر، د ت ط، ص: 32.
- (7) ينظر: - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة ب د أ، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.ط.
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.ط، ص 51.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف د.ت.ط، ج: 03، ص: 223.
- (8) عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام، الطبعة الأولى مصر، 1428هـ/2007م، ص: 171.

- (9) شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، ج: 01، ص: 249.
- (10) ينظر: - ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية، بيروت لبنان، 1400 هـ / 1980م، ج: 02، ص: 386-389.
- الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 1417 هـ/1997م، ص: 94،95.
- (11) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، د ر ط، بيروت لبنان 1400 هـ/1980م ص: 03.
- (12) عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة تحقيق أسامة هيثم عطايا، دار البيروني، الطبعة الأولى، دمشق 1428 هـ/2007م، ج: 01، ص: 91.
- (13) عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة، ج: 02، ص: 582.
- (14) محمد سالم محيسن، المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير، دار الجيل الطبعة الأولى، بيروت، 1409 هـ / 1989م، ص: 63.
- (15) عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة، ج: 01، ص 498.
- (16) المرجع السابق، ج: 01، ص: 442.
- (17) المرجع السابق، ج: 01، ص 336.
- (18) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج: 02، ص: 145.
- (19) عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة، ج: 01، ص: 92.
- (20) هشام عبد الجواد الزهيري، الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، دار الأمل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسكندرية مصر، 1431 هـ / 2010م، ج: 01، ص: 229.
- (21) أبو العباس الخابوري، الدرُّ النضيد في علم التجويد، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، 1437 هـ / 2016م، ص: 68.
- (22) منظومة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، للإمام أبي الحسن بن بري، تحقيق: الدكتور عبد الحلیم قابة، مكتبة التوفيق، الجزائر، الطبعة الأولى 1422 هـ/2001م، ص: 55-56.
- (23) هي هاء ساكنة تُلحقها العرب أواخر بعض الكلمات لبيان حركة الحرف الأخير.

- (24) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج: 02، ص: 145.
- (25) المرجع السابق، ص 442.
- (26) ينظر: - علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى القاهرة، د ت ط، ص: 95-97.
- أماني بنت محمد عاشور، الأصول النيرات في القراءات، مدار الوطن للنشر، الطبعة الثالثة، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011م، ص: 399-400.